المعرفة وتوحيد الخطاب الديني
وفق المنظور الفكري

د .شكرية حمود عبد الواحد

مدرس بكلية العلوم الإسلامية/جامعة بغداد

Emil : shukriy.a@cois.uobaghdad.edu.iq

الملخص

إن فهم النص الديني ضرورة معرفية لتوحيد الخطاب الديني وهو أمر ميسور وسهل ولا يصعب إلا على معرض عنه لم يجهد نفسه في البحث والاستقصاء عن أساليب فهمه وفهم قضاياه معتمداً الطرق السليمة لمعالجة ألازمات الفكرية التي تعاني منها المجتمعات الإسلامية اليوم.

ولإعطاء فكرة عن مفهوم الخطاب الإسلامي المنشود، كان لابد من الانبراء والوقوف ضد التيارات المتعصبة من أجل خطاب إسلامي نهضوي يحقق الغاية من الهدف الذي تصبو إليه الأمة الإسلامية في الرفعة والحضارة، ويساير متغيرات العصر ومتطلباته ويعيش في زمانه المعاصر وفي مكانه الحالي، لذا ينبغي أن يتصف خطابنا الإسلامي بجملة من المواصفات؛ تعطي البعد الحضاري النهضوي للخطاب الإسلامي المعاصر؛ المستمد من خطاب الوحي، المتحرر من مؤثرات الأهداف المشبوهة.

ان فكرة اعتدال وتوحيد الخطاب بلا شك فكرة جميلة وبخاصة بعد الويلات التي جرتها الهويات الفرعية من اصطراع داخلي احرق الحرث والنسل، اصطراع مدروس يدفع باتجاه سمو مبدأ المواطنة و التعايش فوق الهويات الفرعية والثقافية المتنوعة المتشرذمة والممزقة والتي نجحت بسرعة في تفتيت النسيج المجتمعي.

اذ ان هناك اتجاه في بعض وسائل الإعلام يحاول جعل الخطاب الديني هدفا للفرد في المجتمع وصولا إلى محو الفوارق الثقافية بين إفراد المجتمع وانتهاءا إلى طمس الهويات الفرعية .

بين البحث أن يتصف الخطاب الديني بالعقلانية، فلا يمكن للشخص أن يتحدث بأحكام الإسلام ويُلقي بها على المسامع دون أن يفكّر في تحليلها وتفسيرها وإيصالها إلى أذهان الناس بالوسائل والأساليب المناسبة .

اكد البحث ان وحدة الخطاب الديني تحث على المساواة في الحقوق والواجبات لكل فرد من افراد المجتمع ومن غير تفضيل لفرد على آخر تحت مسوغ كان ديني أو عرقي أو فكري أو سلوكي او مجتمعي، وهدفها بالأساس تحجيم التعصب الديني لدى أتباع الديانات والمذاهب المختلفة في المجتمع الواحد.

حاول البحث ان من المصطلحات التي باتت متداولة كثيراً في عصرنا الحاضر مصطلح الخطاب الديني، الذي يحاول البعض تعميمه في محاولة منه لعولمة الفكرة وتأطيرها بإطار مقدس وصولا إلى تبنيه قانونا يقدم على أي نزعة دينية أو مذهبية أو أثنية أو عرقية ونحوها.

وقد خلص البحث انه يجب على الخطاب الديني المعاصر الابتعاد عن النَفَس الطائفي ويدعو إلى الوحدة والتقريب بين جميع المذاهب الإسلامية، تحت مظلة حب الوطن والتعايش السلمي.

Knowledge and unification of religious discourse From an intellectual perspective

Dr. Shukria Hammoud Abdel Wahed
College of Islamic Sciences/University of Baghdad

Summary

Understanding the religious text is an epistemological necessity to unify the religious discourse, which is easy and easy, and it is not difficult except for those who reject it, who did not strain themselves in researching and investigating methods of understanding it and understanding its issues, adopting sound methods to address the intellectual crises that Islamic societies suffer from today. In order to give an idea of the concept of the aspired Islamic discourse, it was necessary to be patient and stand against fanatical currents for the sake of an Islamic renaissance discourse that achieves the goal of the goal that the Islamic nation aspires to in elevation and civilization, and goes along with the changes and requirements of the era and lives in its contemporary time and in its current place, so it should be characterized Our Islamic discourse has a number of specifications. It gives the civilizational renaissance dimension to the contemporary Islamic discourse; Derived from the discourse of revelation, liberated from the influences of suspicious goals. The idea of moderation and unification of discourse is undoubtedly a beautiful idea, especially after the ravages caused by sub-identities of internal conflict that burned crops and offspring, a studied conflict that pushes towards the supremacy of the principle of citizenship and coexistence over the diverse, fragmented and torn sub-cultural identities that quickly succeeded in fragmenting the social fabric. As there is a trend in some media that tries to make religious discourse a goal for the individual in society, leading to erasing the cultural differences between the members of society, and ending with obliterating sub-identities. The research showed that the religious discourse is

characterized by rationality, as it is not possible for a person to speak the rulings of Islam and deliver them to the ears without thinking about analyzing and interpreting them and communicating them to people's minds with appropriate means and methods. The research confirmed that the unity of religious discourse urges equality in the rights and duties of every member of society, without giving preference to one over another under a religious, ethnic, intellectual, behavioral or societal justification. The research tried that among the terms that have become widely circulated in our time is the term religious discourse, which some are trying to generalize in an attempt to globalize the idea and frame it with a sacred framework in order to adopt a law that precedes any religious, sectarian, ethnic or racial tendency and the like. The research concluded that the contemporary religious discourse should move away from the sectarian self and calls for unity and rapprochement between all Islamic sects, under the umbrella of patriotism and peaceful coexistence.

المقدمة

إن فهم النص الديني ضرورة معرفية لتوحيد الخطاب الديني وهو أمر ميسور وسهل ولا يصعب إلا على معرض عنه لم يجهد نفسه في البحث والاستقصاء عن أساليب فهمه وفهم قضاياه معتمداً الطرق السليمة لمعالجة ألازمات الفكرية التي تعاني منها المجتمعات الإسلامية اليوم.

ولإعطاء فكرة عن مفهوم الخطاب الإسلامي المنشود، كان لابد من الانبراء والوقوف ضد التيارات المتعصبة من أجل خطاب إسلامي نهضوي يحقق الغاية من الهدف الذي تصبو إليه الأمة الإسلامية في الرفعة والحضارة، ويساير متغيرات العصر ومتطلباته ويعيش في زمانه المعاصر وفي مكانه الحالي، لذا ينبغي أن يتصف خطابنا الإسلامي بجملة من المواصفات؛ تعطي البعد الحضاري النهضوي للخطاب الإسلامي المعاصر؛ المستمد من خطاب الوحي، المتحرر من مؤثرات الأهداف المشبوهة.

ان فكرة اعتدال وتوحيد الخطاب بلا شك فكرة جميلة وبخاصة بعد الويلات التي جرتها الهويات الفرعية من اصطراع داخلي احرق الحرث والنسل، اصطراع مدروس يدفع باتجاه سمو مبدأ المواطنة و التعايش فوق الهويات الفرعية والثقافية المتنوعة المتشرذمة والممزقة والتي نجحت بسرعة في تفتيت النسيج المجتمعي.

بين البحث أن يتصف الخطاب الديني بالعقلانية، فلا يمكن للشخص أن يتحدث بأحكام الإسلام ويُلقي بها على المسامع دون أن يفكّر في تحليلها وتفسيرها وإيصالها إلى أذهان الناس بالوسائل والأساليب المناسبة .

اكد البحث ان وحدة الخطاب الديني تحث على المساواة في الحقوق والواجبات لكل فرد من افراد المجتمع ومن غير تفضيل لفرد على آخر تحت مسوغ كان ديني أو عرقي أو فكري أو سلوكي او مجتمعي، وهدفها بالأساس تحجيم التعصب الديني لدى أتباع الديانات والمذاهب المختلفة في المجتمع الواحد.

وقد خلص البحث انه يجب على الخطاب الديني المعاصر الابتعاد عن النَفَس الطائفي ويدعو إلى الوحدة والتقريب بين جميع المذاهب الإسلامية، تحت مظلة حب الوطن والتعايش السلمي.

حاول البحث ان من المصطلحات التي باتت متداولة كثيراً في عصرنا الحاضر مصطلح الخطاب الديني، الذي يحاول البعض تعميمه في محاولة منه لعولمة الفكرة وتأطيرها بإطار مقدس وصولا إلى تبنيه قانونا يقدم على أي نزعة دينية أو مذهبية أو أثنية أو عرقية ونحوها.

وهناك اتجاه في بعض وسائل الإعلام يحاول جعل الخطاب الديني هدفا للفرد في المجتمع وصولا إلى محو الفوارق الثقافية بين إفراد المجتمع وانتهاءا إلى طمس الهويات الفرعية .

من أجل ما تقدم اخترنا هذا البحث، محاولين إماطة اللثام عن الموضوع بتجرد كبير.

واقتضت خطة البحث تقسيمه على مقدمة و ثلاثة مطالب وخاتمة، تناولت في المقدمة السبب من وراء اختيار عنوان البحث، بينما تناولت في المطلب الأول **تحديد مفاهيم** عنوان البحث ،وخصصنا المطلب الثاني لإعطاء فكرة عن مفهوم الخطاب الإسلامي وأهميته ، وجعلت المطلب الثالث مخصصا لدور المعرفة في فهم الخطاب الديني، وأما الخاتمة فقد أوجزت فيها أهم نتائج البحث وما توصلت إليه في هذه الرحلة الماتعة والمباركة، وأخيرا فهذا جهد المقل فان وفقنا فهو محض فضل من الله وان كانت الأخرى فمنا ومن الشيطان، والله تعالى ورسوله صلى الله عليه واله وسلم براء منه.

الباحثة

المطلب الاول

تحديد مفاهيم البحث

اولا: مفهوم المعرفة

أورد صاحب اللسان في دلالة كلمة (معرفة) معاني عدة ومما ذكره: العرفان العلم، والعريف والعارف بمعنى مثل عليم وعالم[١]، وعرفه: علِمه وأدركه بتفكرٍ وتدبرٍ لأمره[٢].

ويشير الجرجاني: إلي أن المعرفة إدراك الشيء على ما هو عليه ،وهي مسبوقة بنسيان حاصل بعد العلم، بخلاف العلم ولذلك يسمى الحق تعالى بالعالم دون العارف[٣]. وذكر الراغب الأصفهاني أن: المعرفة والعرفان إدراك الشيء بتفكر وتدبر لأثره وهو أخص من العلم ويضاد الإنكار، ويقال: فلان يعرف الله ولا ،يقال :يعلم الله، لما كان معرفة البشر لله هي بتدبر آثاره دون إدراك ذاته، ويقال: اللهُ يعلم كذا ولا يقال يعرِف كذا؛ فالمعرفة تستعمل في العلم القاصر المتوصَّل به بتفكر[٤]، ويذكر الأصفهاني في دلالة كلمة علم قائلاً: العلم إدراك الشيء بحقيقته[٥] .

إذن فالمعرفة تقال فيما تدرك آثاره وإن لم تدرك ذاته ،والعلم يندر أن يقال إلا فيما يدرك ذاته وحقيقته، فالعلم يتطلب الإحاطة بأحوال المعلوم على وجه التمام لذا تتصل المعرفة في التصورات بينما يستعمل العلم في التصديقات، وفق هذا السياق فإن مفهوم نظرية المعرفة في إطار الدراسات الفلسفية يراد به بصورة أساسية البحث المنظم في الوجود الذهني للمدركات والقوالب الذهنية[٦].

ونجد أيضا أن مفهوم المعرفة في أكثر المصادر اللغوية يكاد يتمحور حول معنى السكون الطمأنينة، ويستند ذلك إلى أن ثبوت المعنى في النفس يقتضي سكونها إليه ،

(١) لسان العرب، ابن منظور: ٢٨٩٨/٤ .
(٢) معجم متن اللغة، احمد رضا: ٧٧/٤.
(٣) التعريفات، الجرجاني، ص٢٣٦
(٤) المفردات، الراغب الأصفهاني،ص٣٣١ .
(٥) المصدر نفسه: ص٣٤٣ .
(٦) القبض والبسط في الشريعة، عبد الكريم شورش، ص٢١.

بخلاف ما لم يثبت في النفس فإنها تنكره ،لذا يقول ابن فارس : (العين والراء والفاء أصلان صحيحان ، يدل أحدهما على تتابع الشيء متصلاً بعضه ببعض ، والآخر على السكون والطمأنينة ... تقول : عرف فلان فلاناً عرفاناً ومعرفة ، وهذا أمر معروف ، وهذا يدل على ما قلناه من سكونه إليه ، لأن من أنكر شيئاً توحش منه ونبأ عنه)[٧].

وهذا الأصل ينطبق على معنى العلم، من جهة أنه ثبوت المعلوم وتحققه في النفس ، فمن علم بشيء فقد عرفه ، ومن عرفه فقد علم به ، ولهذا يفسر أهل اللغة المعرفة بالعلم كما جاء في اللسان (العرفان : العلم)[٨] . كما يفسرون العلم بالمعرفة كما جاء في اللسان أيضاً (علمت الشيء أعلمه علماً : عرفته)[٩] .

وقد يفرق بعض أهل اللغة بين المعرفة والعلم ، لكن على وجه لا ينافي أتفاقهما في المفهوم الإجمالي، ومن ذلك قولهم: (ان الفرق بين العلم والمعرفة ،أن المعرفة أخص من العلم ، لأنها علم بعين الشيء مفصلاً عما سواه والعلم يكون مجملاً ومفصلاً... فكل معرفة علم، وليس كل علم معرفة، وذلك أن لفظ المعرف يفيد تمييز المعلوم من غيره، ولفظ العلم لا يفيد ذلك إلا بضرب آخر من التخصيص في ذكر المعلوم ، والشاهد قول أهل اللغة إن العلم يتعدى إلى مفعولين ليس لك الاقتصار على أحدهما إلا أن يكون بمعنى المعرفة)[١٠] .

ولا تنافي بين تفسير العلم بالمعرفة، والمعرفة بالعلم، وبين أن يكون لكل منهما مع ذلك معنى يختص به، وإنما المقصود اشتراكهما في المفهوم الإجمالي المستند إلى ثبوت معنى في النفس هو حقيقة العلم والمعرف. وكما يقول الإمام ابن حزم فـ(العلم والمعرفة اسمان واقعان على معنى واحد، وهو اعتقاد الشيء على ما هو عليه وتيقنه وارتفاع الشكوك عنه)[١١] .

---

[٧] معجم مقاييس اللغة، لابن فارس: (٢٨١/٤) .
[٨] لسان العرب، لابن منظور: (٢٣٦/٩) .
[٩] المصدر نفسه: (٤١٧/١٢) .
[١٠] الفروق في اللغة، لأبي هلال العسكري: ص(٧٢-٧٣) .
[١١] الفصل، لابن حزم: (١٠٩/٥) .

وهذا المعنى القائم في النفس حقيقة ضرورية يدركها الإنسان من نفسه وهي أظهر من أن تعرَّف أو يستدل لاثباتها، لأن كل إدراك لأمر كلي أو جزئي متوقف على ثبوت حقيقة المعرفة في النفس ثبوتاً ضرورياً لا يمكن الجهل به أو الشك فيه، والتعريف إنما يكون بما هو أظهر وأوضح مما يراد تعريفه، والمعرفة هي أظهر المعارف بحيث لا يمكن تعريفها بما هو أظهر فيها.

ولهذا فإنه لا يمكن الشك في حقيقة المعرفة وقيامها بالنفس وإن أمكن الشك في بعض المعارف الجزئية، وهذا هو الأساس الذي بني عليه ديكارت[١٢] فلسفته في حقيقة في المعرفة اليقينية، حيث شك في كل شيء حتى شك في وجوده، لكنه لم يمكنه أن يشك في أنه يشك، أي في معرفته بأنه يشك، لأن معرفته بذلك أظهر من أن يشك فيها، بل إن الشك فيها إثبات لها[١٣] .

والحق أنه لا يمكن تعريف المعرفة: إلا بأنها الحالة النفسية التي يجدها الإنسان بالضرورة حال الإدراك ، وأنه لا يمكن تحديدها ، لأن ذلك يقتضي تعريفها بما هو أخفى منها . ولهذا ذهب الرازي إلى أن تعريف العلم متعذر ، وعلل ذلك بأن (كل ما يعرَّف به العلم فالعلم أعرف منه؛ لأنه حالة نفسانية يجدها الإنسان من نفسه أبداً ... وما هذا شأنه يتعذر تعريفه)[١٤].

ثانيا: مفهوم الخطاب .

الخطاب لغة له عدة معانٍ نذكر منها: الكلام [١٥] . وفي التنزيل العزيز: ﴿ **إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ** ﴾[١٦] .

---

[١٢] ديكارت: يعد رائد الفلسفة في العصر الحديث، حيث سلك في الاستدلال طريقاً غير طريق المدرسين(الفلسفة المدرسية) ، وكان يؤكد على فطرية الحقيقة؛ لكنه مع ذلك كان يشك في الحواس ، أهم كتبه (تأملات في الفلسفة الأولى) . ينظر: ديكارت، د. عثمان أمين، وموسوعة الفلسفة لعبد الرحمن بدوي (٤٨٨/١-٤٩٩)، وتاريخ الفلسفة الحديثة، ليوسف كرم: ص(٥٨-٨٨) .

[١٣] ينظر: فلسفة ديكارت ومنهجه، د. مهدي فضل الله: (٧٧-١٠٢) .

[١٤] المباحث المشرقية، للرازي: (٤٥٣/١) .

[١٥]- العين ج٤/ص٢٢٢ ؛ لسان العرب ج٣٦٠/١ ؛ المصباح المنير ج١٧٣/١؛ المعجم الوسيط ج٢٤٣/١.

[١٦]- سورة ص،آية(٢٣).

وفي الاصطلاح فقد عرفه الكرخي[١٧]: بأنه الكلام المبين الملخص الذي يتنبه من يخاطب به ولا يلتبس عليه [١٨].

وعَرَّفَهُ الآمدي وأبو البقاء الكفوي: اللفظ المتواضع عليه المقصود به إفهام من هو متهيىء لفهمه [١٩] .

وقال الزركشي[٢٠]: القرآن: هو الكلام المنزل للإعجاز بآيه منه المتعبد بتلاوته[٢١].

وعرفه الكوراني[٢٢]:- بأنه توجيه الكلام نحو الغير للإفهام أو للغير المتهيئ للفهم [٢٣].

ثالثا: مفهوم الدين:

الدين لغة كما جاء في (لسان العرب): مادة دين هو الطاعة، ومن الدين جاءت لفظت ديّان. وهي من اسماء الله، ومعناها الحكم والقاضي والقهار. ويلزم الدين هو يوم الجاء، أي يوم الحساب. فالدين اذن هو الطاعة والخضوع لحكم حاكم "قاضٍ" ومجاز بفرض الجزاء في يوم الحساب.

وقد يأتي الدين بمعنى الحساب كما جاء في القرآن الكريم قوله تعالى﴿ **الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ**﴾[٢٤] وقوله تعالى و﴿**قَالُوا يَا وَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ**﴾[٢٥].

فالدين اذن علاقة بين الإنسان والله، فهو فعل(عبادة) ناتجة عن إيمان بعد قناعة، أو ايمان مطلق[٢٦].

---

(١٧)-عبيد الله بن الحسين بن دلال بن دلهم أبو الحسن الكرخي ،انتهت إليه رياسة أصحاب أبي حنيفة بعد أبي خازم وأبي سعيد البردعي ،ت٣٤٠هـ. طبقات الحنفية ج٣٣٧/١ .

(١٨)- قواعد الفقه ج١/ص٤١٣.

(١٩)-الإحكام للآمدي ج١/ص١٣٦؛ كتاب الكليات ج١/ص٤١٩.

(٢٠) الزَّرْكَشِي: محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، أبو عبد الله، بدر الدين: عالم بفقه الشافعية والأصول. تركي الأصل، مصري المولد والوفاة. له تصانيف كثيرة في عدة فنون، منها (البحر المحيط)، و (إعلام الساجد بأحكام المساجد). توفي سنة (٧٩٤هـ). الأعلام للزركلي: ٦٠/٦-٦١.

(٢١) البحر المحيط: ٤٤١/١.

(٢٢)-أحمد بن إسماعيل بن عثمان بن أحمد بن رشيد بن إبراهيم شرف الدين الشهرزوري الكوراني ثم القاهري عالم بلاد الروم ،ولد في سنة ثلاث عشرة وثمانمائة بقرية من كوران مات في أواخر رجب سنة ثلاث وتسعين وثمانمائة ، الضوء اللامع ج١/ص٢٤١.

(٢٣)-التحبير شرح التحرير ج٣٠٨/٢.

(٢٤ سورة الفاتحة: الآية٤.

(٢٥ سورة الصافات: الآية٢٠.

(٢٦ محمد بن مكرم بن علي بن منظور الاتصاري، لسان العرب، باب الدين، ط٣، دار صادرة، بيروت، ١٤١٤هـ، ٢٦/٣.

وجاء الدين في (مُختار الصِّحاح): الدِّينُ بالكسر العادة والشَّأن، ودَانَهُ يدينه دِيناً بالكسر أذله واستعبده؛ فَدَانَ. وفي الحديث (الكيِّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت)[٢٧]. و{تعني كلمة الدِّينُ أيضاً} الجَّزاء والمكافأة؛ فيقال دَانَ يُدينه دِيناً، أي جازاه. ويقال كما تُدِينُ تُدَانُ؛ أي كما تُجازي تُجازى بفعلك"[٢٨].

وقد ورد كلمة (دين) في اللُّغة الأكديَّة، وتعني عند ترجمتها: "القضاء والحساب، وهي ترجمة لكلمة (أور) السومريَّة، الَّتي كانتْ تعني (المدينة)؛ لأنَّ المدينة كانتْ هي مكان دار القضاء والعدالة"[٢٩].

وفي الاصطلاح تعدَّدتْ وجهات نظر الباحثين: سواءٌ الإسلاميين كانوا أم غير إسلاميين في تحديد الدِّين. وبشكلٍ عام؛ فإن كلمة (دين) العربيَّة، هي كلمة (Religion) في الإنجليزيَّة، وهي من الأصل اللَّاتيني (Religere) أو(Religire)، وآراء "العُلماء المعنيين بتاريخ الأديان وفلسفتها، كانوا على اختلافٍ كبيرٍ جدَّاً في وضع حدٍّ علميٍّ مقبول بينَ الجَّميع لموضوع الدِّين. ورُبَّما لا يوجد موضع في العالم اختلفتْ في تحديده الآراء كهذا الموضوع، حتَّى صار من المستحيل وضع إطارٍ يُتَّفق عليه لصورةٍ تجمع على أنَّها تمثِّل الدِّين"[٣٠].

ومن هنا؛ كان لا بُدَّ من توضيحٍ موجز يُبيِّنُ فيه وجهة نظر التصوُّر الإسلامي، وغيره من التصوُّرات الأُخرى بخصوص تعريف الدِّين في تصوُّرات الإسلاميين،اذ تفاوتتْ التَّعريفات الَّتي جاءتْ، لكي تبيِّن ماهيَّة الدِّين؛ إذ عرَّفه كُلُّ باحثٍ بحسب مشربه، وما يراه أنَّه من أهمِّ المميِّزات الَّتي يتَّصف بها الدِّين. وفيما يأتي بعض التَّعريفات الَّتي سنوردها بهذا الخصوص؛ وهي:

()٢٧ أبو عيسى محمد الترمذي، سنن الترمذي، كتاب٠صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله(صل الله عليه واله وسلم)، رقم الحديث ٢٤٥٩، ٥٥١/٤ حديث حسن.

٢٨- أبو بكر محمَّد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرَّازي (ت: ٦٦٦هـ): مُختار الصِّحاح، ط١، المطبعة الملكيَّة، القاهرة، ١٤٢٩هـ، ص٥٢٨.

٢٩- خزعل الماجدي، علم الأديان، ط١، مؤمنون بلا حدود، بيروت، ٢٠١٦، ص٢٦.

٣٠- المصدر نفسه، ص٢٧.

فقد عُرِّفَ الدِّين: "إنَّه وضعٌ إلهيٌّ يدعو أصحاب العقول إلى قبول ما عند الرَّسول (صل الله عليه واله وسلم). والدِّين والملَّة مُتَّحدان بالذَّات ومُختلفان بالاعتبار؛ فالشَّريعة من حيث إنَّها تُطاع تُسمَّى ديناً، ومن حيث إنَّها تجمع تُسمَّى ملَّة. ومن حيث إنَّها يُرجع إليها تُسمَّى مذهباً. وقيل أنَّ الفرق بين الدِّين والملَّة والمذهب؛ هو إنَّ الدِّين منسوبٌ إلى الله تعالى، والملَّه منسوبة إلى الرَّسول (صلى الله عليه واله وسلم)، والمذهبُ منسوبٌ إلى المجتهد"[٣١].

أيضا عُرِّفَ الدين: "إنَّه عبارةٌ عن وضعٍ إلهيٍّ لذوي العقول، لاختيارهم المحمود إلى الخير بالذَّات قلبيًّا كان أو قالبيًّا، كالاعتقاد، والعلم، والصَّلاة. وقد يُتجوَّز فيه؛ فيُطلق على الأصول خاصَّة؛ فيكون بمعنى الملَّة، وعليه قوله تعالى:
﴿**دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا**﴾[٣٢]. وقد يُتجوَّز فيه أيضاً؛ فيُطلق على الفروع خاصَّة، وعليه قوله تعالى: ﴿**وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ**﴾[٣٣]؛ أي الملَّة، والقيمة تعني فروع هذه الأصول"[٣٤].

وكذلك عُرِّفَ: "بأنَّه عبارة عن تكليف العبد عندما يبلغ الشَّرائط والعبادات، سواءً على مستوى الفرد، أو المعاملات الجماعيَّة"[٣٥].

كما عرَّف الدين بأنَّه: "نظامٌ له قوانينه وتقاليده وتعاليمه الخاصَّة، ويشمل هذا النِّظام مجموعةً من القضايا والتصوُّرات النظريَّة الاعتقاديَّة، وهي الَّتي تُسمَّى بالعقيدة، إلى

٣١-علي بن محمَّد بن علي الزَّين الشَّريف الجُرجاني (ت: ٨١٦هـ): كتاب التَّعريفات، ط١، صحَّحه وحقَّقه: مجموعةٌ من العُلماء بإشراف النَّاشر، دار الكُتب العلميَّة، بيروت، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣، ص١٠٥- ١٠٦.

٣٢- سورة الأنعام: الآية ١٦١.
٣٣- سورة البيِّنة: الآية ٥.
٣٤) ايوب بن موسى الحسيني الكفوي ابو البقاء الحنفي(ت ١٠٩٤ه)، الكليات، تحقيق: عدنان درويش؛ محمد المصري، مؤسسة الرسالة، ط٢، بيروت، ١٤١٩ه، ص٤٤٣.
٣٥- سميح دغيم: موسوعةُ الأديان السماويَّة والوضعيَّة (أديان ومعتقدات العرب قبل الإسلام)، ط١، دار الفكر اللُّبناني، بيروت، ١٩٩٥، ص١٦.

جانبٍ من الطُّقوس والشَّعائر التعبديَّة والممارسات السلوكيَّة، الَّتي تُعرف بالشَّريعة"[٣٦].

ولذلك؛ كان من الضَّروري تحديد أصول المبادئ والاتَّجاهات الدينيَّة، الَّتي تمثَّل ثوابت الدِّين وخطوطه العريضة والواضحة، الَّتي هي بمثابة الدَّستور الأساس: التَّعليمي، والتَّشريعي للدِّين. ويمكن القول بإيجاز: إنَّ الدِّين يتألَّف من أنباء وتشريعات: **أمَّا الأنباء؛** فهي أمورٌ ثلاثة كُبرى، تتعلَّق بـــ(الإله، والوجود، والإنسان)، وتُسمَّى بأصول الدِّين؛ وهي:

١- وجود الإله ووحدانيته وصفاته الكماليَّة والأخلاقيَّة، ويتضمَّن هذا النَّبأ مضافاً إلى إثبات الإله، الأمور الآتية:[٣٧]

أ- توحيده، ونفي تعدَّد الآلهة في الوجود.صفاته الذاتيَّة الكماليَّة: كالقدرة، والعلم.

ب- الضَّمير الأخلاقي لله تعالى، وإليه ينتمي أصل العدالة في الدِّين؛ وهو اصل يضيفه مجموعة من علماء المسلمين في اصول الدين، وهذا الأصل يمثَّل رؤية الدِّين في تفسير وجود الكون المادَّي، وما يتمثَّل فيه من: نُظمٍ، وتقنينٍ، وجمالٍ بوجودِ بُعْدٍ غير ماديٍّ للوجود، وبيان حقيقة هذا البُعد وخصائصه، الَّتي تمسُّ الإنسان.

٢- رسالةُ الإله إلى الإنسان؛ وهي تمثَّل رؤية الدِّين في عناية الإله بالإنسان، فهذه الرِّسالةُ هي المظهر الأبرز لهذه العناية، وتشتملُ هذه الرُّؤية على معانٍ إضافيَّةٍ مهمَّة، لمشهد العلاقة بين الإله وبين الإنسان.

وأمَّا التَّشريعات؛ فهي تكاليفٌ بعضها معرفيَّة، وذلك لمعرفة الأنباء الثَّلاثة الكُبرى، وتُسمَّى بالعقيدة. وبعضها سلوكيَّة؛ وهي ممارسات وتروك محددة، وتُسمَّى بالأحكام الشَّرعية (القانون الشَّرعي)، إذ تعتمد مبادئ الضَّمير الإنساني، أي بمعنى أنَّ الضَّمير الإنساني يمثَّل القانون الفطري، الَّذي جُهِّزَ به الإنسان؛ ليكون حاكماً على سلوكه وتصرُّفاته[٣٨].

٣٦- محمد جواد محمد سعيد الطريحي والدكتورة سلامة حسين كاظم الموسوي، الأديان(دراسة ابستمولوجية في المحتوى والمنهج)، ط١، دار صادر، بيروت، ٢٠١٤، ص١٨.

٣٧- ينظر: محمد باقر السيستاني، اهمية البحث عن الدين سلسلة محاضرات فكرية القيت على جمع من طلبة الجامعات بتاريخ ٩جمادي الأخر، ١٤٤٠ه في النجف الاشرف، ص١١-١٣.

٣٨- محمد باقر السيستاني، اهمية البحث عن الدين، المصدر السابق، ص١٣.

ولذلك؛ فهذا الضَّمير هو الَّذي يحدَّد السَّلوك الملائم للإنسان؛ سواءٌ في مستوى التَّعامل مع الإله الخالق للكون والإنسان، أم في المستوى الاجتماعي للإنسان في التَّعامل مع بني نوعه، أم في مستوى التَّعامل مع نفسه(٣٩).

وبناءً على ما تقدَّم؛ نجد أنَّ الدِّين يركِّزُ دائماً على الدَّعوة إلى العمل الصَّالح في مقابل الفاسد، والمعروف في مقابل المُنكر، والحسن في مقابل السَّيء، والرُّشد في مقابل الغي، والعدل في مقابل الظُّلم، والإحسان في مقابل الإساءة، ويؤكِّد في تفاصيل ذلك على مراعاة الحقوق الفطريَّة، مثل: حقّ الإنسانيَّة، والأبوة، والأمومة، والبنوَّة، والقرابة، والجِّوار... إلى غيرها.

وبناءً على ما تقدَّم من تعريفاتٍ للدِّين؛ يمكننا القول: إنَّ الدِّين هو اعتقادٌ وتفكُّرٌ وانقيادٌ وطاعةٌ وخضوعٌ إلى قوَّةٍ غيبيَّةٍ علويَّةٍ مُطلقة ومؤثِّرة فوق مستوى المخلوقات، وقادرة على إدارة الكون على وفق نظامٍ دقيقٍ، وتدبير شؤون الإنسان وتنظيم أموره وتسيير حياته نحو الوجهة الحكيمة.

وبذلك يتحوَّل الدِّينُ إلى سلوكٍ واعتقادٍ خاصٍّ، وطريقة تفكير تصلُ بالإنسان إلى مستوى الإيمان المُطلق، بما يشتمل عليه من اعتقاداتٍ وعباداتٍ ومعاملات، يفرضها ذلك الدِّين، وهذه القوَّة المُطلقة هي الله تعالى.

اما مفهوم الدِّين في تصوُّرات غير الإسلاميين:

فنجد ان بعض الفلاسفة قد عرفوها– مثلاً– إميل دوركهايم* يعرِّف الدِّين بأنَّه "مُؤسَّسةٌ اجتماعيَّةٌ، قوامها التَّفريق بين المُقدَّس وغير المُقدَّس، ولها جانبان: أحدهما؛ وهو روحي مُؤلَّف من العقائد والمشاعر الوجدانيَّة. أمَّا الآخر؛ فهو مادَّي مُؤلَّف من الطُّقوس والعادات"(٤٠).

٣٩-ينظر: صباح خيري العرداوي، قراءات معاصرة في الفكر الاسلامي، ط١، دار البيان، بغداد، ٢٠١٩، ص٣٣.

(٤٠) فيلسوف وعالم اجتماع فرنسي احد مؤسسي علم الاجتماع الحديث، وقد وضع لهذا العلم منهجية مستقلة تقويم على النظر والتجريب في آن معاً، ابرز اثاره في تقسيم العمل الاجتماعي عام١٨٩٣م وقواعد المنهج السوسيولوجي عام(١٨٩٥م) أسس رسمياً الانضباط الاكاديمي لعلم الاجتماع. (ت ١٩١٧م). ١- ينظر: معجم لالاند الفلسفي، ترجمه الى العربية تحت عنوان "موسوعة لالاند الفلسفية": خليل احمد خليل، دار عويدات بباريس وبيروت، ط٢، ٢٠٠١، مج٣، ص١٢٠٣-١٢٠٤.

ويُعرف الدين: " هو معرفة الواجبات كلها بوصفها اوامر الهية"(٤١).

وبناءً على ما تقدَّم؛ فمن الضَّروري عند الحديث عن أيِّ فكرةٍ، لأجل تقدير أهميَّتها؛ لا بُدَّ من تقييمها عن طريق الفهم الصَّحيح لها.

وهذا المبدأ ينطبق – بطبيعة الحال– على الدِّين، لا سيَّما أنَّه رسالةٌ من الإله إلى الإنسان، وقد لحقت هذه الرِّسالة نصوصٌ أُخرى – كان ثبوت كثير منها أو فهمها مبنيَّاً على ضربٍ من الاجتهاد والحدس على وفق الأدوات المتيسرة – بعنوان التَّفصيل والشَّرح والبيان، إذ رُويتْ عن الرَّسول (صلى الله عليه واله وسلم) وأهل البيت (عليهم السلام) على إنَّها أُلقيتْ في مقام بيان هذا النص وحدوده، ثمَّ اجتهادات فكريَّة وفقهيَّة تمركَّزتْ حول النَّص، مثلتْ – في أحيانٍ كثيرة– أفهاماً مُتعدِّدة في مفاد هذا الدِّين، وأنظاراً غير قليلة في حدود الحُجَّة من النَّصوص الثانويَّة؛ ثمَّ انطباعات وأعراف وتقاليد عامَّة وخاصَّة، اجتمعتْ حول النَّصوص الثانويَّة والاجتهادات، الَّتي تكوَّنتْ حولها، على إنَّها تطبيقٌ للمبادئ والأحكام المفهومة منها، أو نحو حياطة وحماية لها؛ فتكوَّن بذلك تفاصيل كثيرة، ومظاهر اجتماعيَّة عديدة للدِّين.

من هذه التعاريف نستطيع القول إن للدين علاقة عقيدية بين الإنسان والمقدس عنوانها التوجه أو الضمير أو الشعور أو الأخلاق، والدين بشقيه العملي والنظري لا يخلو من معتقدات وطقوس وممارسات.

المطلب الثاني

اهمية الخطاب الاسلامي

ان التحدث عن مفهوم الخطاب الاسلامي لابد من إعطاء فكرة مناسبة ان نعرِّفه بأنه: (البيان الذي يوجّه باسم الإسلام إلى الناس مسلمين أو غير مسلمين، لدعوتهم إلى الإسلام، أو تعليمه لهم، وتربيتهم عليه: عقيدةً أو شريعةً؛ عبادة أو معاملة؛ فكراً أو

(٤١)ايمانوئيل كانط، الدين في حدود مجرد العقل، ترجمة: فتحي المسكيني، دار جداول للنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ٢٠١٢م، ص١٧٦.

سلوكاً، أو لشرح موقف الإسلام من قضايا الحياة والإنسان والعالم، فردية أو اجتماعية؛ روحية أو مادية؛ نظرية أو عملية)[٤٢].

واللفت للنظر لابد من التوقف عند مفهوم الدلالة للمصطلحات الاتية: (خطاب الإسلام)و(الخطاب الإسلامي او الديني أو خطاب المسلمين)، فنجد ان مصطلح(خطاب الإسلام)ينصرف إلى خطاب الوحي، بكل ألفاظه وظروفه وأحواله ومجالاته ومضامينه التي يعرض لها، وهو الخطاب المعصوم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، أما(خطاب المسلمين)فهو ذلك الإنتاج الفكري والفقهي والعلمي، والتعبير عن سائر الفهوم والجوانب المعرفية، فهو يمثل خطاب المسلمين واجتهادهم وفهمهم في التعامل مع خطاب الإسلام في الكتاب والسنة والسيرة، ومحاولاتهم تنزيله على واقع الحياة في كل زمان ومكان، وهو بطبيعة مصدره(الإنسان)محل الخطأ والنسيان، إذ إنه خطاب يأتي ثمرة لاجتهاد بشري يجري عليها الخطأ والصواب، وهو بطبيعته قابل للمراجعة، والمناقشة ، والتقويم، والاختبار، والتعديل، والإلغاء،(فالخطاب) بهذه النسبة هو المنتج البشري الاجتهادي المرتكز إلى قيم الإسلام، أو إلى(خطاب الإسلام)[٤٣].

اذن ان الخطاب الإسلامي المعاصر يعاني من غربة الزمان والمكان لدرجة كبيرة، وعدم إدراك حال المخاطبين وحاجاتهم وكيفية التعامل معهم وإيصال الخير إليهم، فالعالم يتطور بشكل سريع ومتزايد، والدنيا حولنا تتغير بحاجاتها ومشكلاتها فمن المنطقي أن لا تتم معالجتها بنفس الوسائل ونفس الطرح ونفس المنطق والتصور والخطاب[٤٤].

و هذا الخطاب يتخذ أساليب شتى قديمة وحديثة: من الخطبة والمحاضرة والدرس والحديث والمقالة والرسالة والكتاب والندوة والبحث الميداني، والتحقيق الصحفي والبرنامج الإذاعي أو التلفزيوني والعمل الدرامي، ويمكن أن يستخدم فيه النثر والشعر والزجل والقصة والمسرحية، كما يمكن أن يستخدم فيه كل أجهزة الإعلام المعاصر

---

[٤٢]جمال محمد بواطنة، تجديد الخطاب الديني المعاصر ضرورة ملحة ،ص١٥.
[٤٣]ينظر: عمر عبيد حسنة، الخطاب الإسلامي وقفة للمناصحة ، ص١٩-٢٢.
[٤٤]ينظر: عمر عبيد حسنة، من فقه الاستطاعة، ص١٠٣.

وآلياته: المكتوبة والمسموعة والمرئية، محلية واقليمية وعالمية؛ من الإذاعات الموجهة إلى القنوات الفضائية إلى شبكة الانترنت)[٤٥].

والخطاب الاسلامي حين يقدم إلى جمهور الناس على أنه الوصف السليم والفهم الصحيح للإسلام في عقيدته ونظامه الأخلاقي وآدابه وشريعته فهو خطاب الدعاة والوعاظ والخطباء والمفتين والباحثين، ولهذا الخطاب الإسلامي دور أساسي في تكوين العقل المسلم والوجدان المسلم، ومنه يتلقى عامة الناس تصورهم للإسلام وللعالم في ظله.

وقد اهتم الاسلام بهذا الامور وجعلها من ضمن القيم العليا التي لا نقاش واختلاف فيها المساواة، حيث وردت في نصوص صريحة في الصحيفة مثلا (ان ذمة الله واحدة) (وان بعضهم موالي بعض دون الناس) وهذا يعني انهم يتناصرون في السراء والضراء ، وتضمنت الصحيفة ان (المؤمنين يبني بعضهم على بعض بما نال دمائهم في سبيل الله) ،ومعنى قوله يبنى هو من البواء ، أي : المساواة[٤٦].

اذن ان مبدأ المساواة من اهم المبادئ التي تساهم في بناء لمجتمع وتحصينه وقد اهتم به الاسلام وله الصدارة في منظومة المفاهيم قال تعالى : ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثَى...)). وقال رسول الله (ﷺ) ((يا ايها الناس الان ربكم واحد ، وان اباكم واحد ، الا لا فضل لعربي على اعجمي ، ولا عجمي على عربي ولا احمر على اسود ، ولا اسود على احمر الا بالتقوى ، ابلغت))[٤٧].

حيث نقصد بالمساواة المساواة امام الشرع والقانون وكافة الاحكام الاسلامية[٤٨]

وليس المساواة في جميع شؤون الحياة كافة وهذا غير معقول ومن البديهيات اختلاف الناس في قابلياتهم وكفاءاتهم بل الاختلاف والتفاوت في الخلقة الذي يقتضي عدم المساواة بل اعطاء كل ذي حقاً حقه من السنن الالهية بل هي غاية الخلق[٤٩].

---

[٤٥]ينظر: جمال محمد بواطنة، تجديد الخطاب الديني المعاصر ضرورة ملحة، ، ص١٦.
(٤٦) ينظر : الروض الانف ،،السهيلي، (٢ /١٧).
(٤٧) ينظر : المسند،احمد بن حنبل ، المسند ، (٥، /٤١١).
(٤٨) ينظر : فقه التمكين في القرآن الكريم ، علي محمد الصلابي ، ص٤٦٣.
(٤٩) ينظر : فلسفة التربية الاسلامية ، ماجد عرسان الكيلاني ، ص١٧٩.

المطلب الثالث:

دور المعرفة في توحيد الخطاب

تكمن اهمية المعرفة في كثيرا من الامور لما له من دورا جوهري في توحيد الخطاب، ولابد من تبيان ذلك من خلال مفهومها اذ ان المعرفة هي إدراك الشيء على ما هو عليه ،وهي مسبوقة بنسيان حاصل بعد العلم، بخلاف العلم ولذلك يسمى الحق تعالى بالعالم دون العارف(٥٠)، حيث ذكر الراغب الأصفهاني أن: المعرفة والعرفان إدراك الشيء بتفكر وتدبر لأثره وهو أخص من العلم ويضاد الإنكار، ويقال: فلان يعرف الله ولا ،يقال :يعلم الله، لما كان معرفة البشر لله هي بتدبر آثاره دون إدراك ذاته، ويقال: اللهُ يعلم كذا ولا يقال يعرِف كذا؛ فالمعرفة تستعمل في العلم القاصر المتوصَّل به بتفكر(٥١)، ويذكر الأصفهاني في دلالة كلمة علم قائلاً: العلم إدراك الشيء بحقيقته(٥٢) .

و تقال للمعرفة فيما تدرك آثاره وإن لم تدرك ذاته ،والعلم يندر أن يقال إلا فيما يدرك ذاته وحقيقته، فالعلم يتطلب الإحاطة بأحوال المعلوم على وجه التمام لذا تتصل المعرفة في التصورات بينما يستعمل العلم في التصديقات، وفق هذا السياق فإن مفهوم نظرية المعرفة في إطار الدراسات الفلسفية يراد به بصورة أساسية البحث المنظم في الوجود الذهني للمدركات والقوالب الذهنية(٥٣).

فليست غاية من التعليم في الإسلام أن يبرع الإنسان في نوع معين من العلم يرتبط بشأن من شؤون الحياة؛ ثم يكون جاهلاً فيما عداه، وليست الغاية من التعليم الوقوف بظاهر العلم عند حدود القشور وتحصيل العائد المادي، فهذه نظرة مبتورة لن تحقق للفرد أمنه العقلي والنفسي، ولن تجلب للمجتمع أمنه الاجتماعي، إذ أن الوسائل فيها قد قطعت عن الغايات؛ فلم يعد للعلم عوائد على مستوى الفرد أو المجتمع، وبقيت النفوس بظلامها الدامس حتى ولو بدّلت في عيشها من سكن الكهوف إلى سكن ناطحات السحاب، فهو لا

(٥٠) التعريفات، الجرجاني، ص٢٣٦
(٥١) المفردات، الراغب الأصفهاني،ص٣٣١ .
(٥٢) المصدر نفسه: ص٣٤٣ .
(٥٣) القبض والبسط في الشريعة، عبد الكريم شورش، ص٢١.

يعني إلا تقدم الآلة وتأخر الإنسان، بينما المنهج الإسلامي في التعليم يطلب من الإنسان أن يتزود بالعلم ليعرف كيف يتعامل مع السنن الكونية وسنن الحياة فتتحول العملية التعليمية إلى وسيلة لغاية أعظم وهي معرفة خالق الكون وواهب الحياة[٥٤].

ولم يعرف علماء الإسلام في عصور الازدهار الحضاري الإسلامي ذلك الانفصام بين علوم الدنيا وعلوم الدين، إذ كان العالم منهم يبرع في العلوم الشرعية كما يبرع في المجالات العلمية والفلسفية والاجتماعية وغيرها[٥٥]، انطلاقاً من توجيهات القرآن الكريم التي كما حثت على التفقه في الدين وتعلّم التأويل؛ حثت على النظر في ملكوت السموات والأرض واكتشاف سنن الأنفس والآفاق، ولمّا ابتعد المسلمون عن توجيهات القرآن الكريم في عصور التخلف الإسلامي، حدث ذلك الانفصام بين علوم الدين وعلوم الدنيا، إذ أصبح لعلوم الدين مجالاتها المنفصلة عن مجالات علوم الدنيا، مما فاقم كثيراً من أزمة التخلف والتأخر الحضاري للمسلمين.

اذ أن بعض المسلمين قد اندفعوا نحو تيار النهضة الغربية الحديثة التي أسست حضارتها على أنقاض الدين والكنيسة؛ التي كانت تحارب العلماء وتضطهدهم، ولم يمعنوا النظر في أصول هذه النهضة العلمية الحديثة المستمدة جميعها من ثمار المعرفة الإسلامية في عصور الحضارة المجيدة، عن طريق الأندلس أو بغداد أو إبان الحروب الصليبية، وكل العلم المنقول عن الإسلام كان علماً شمولياً قائماً على ضبط المناهج مع ارتباطه بقاعدة الإيمان، إذ أن العلم عند المسلمين كان مرتبطاً بالدين في عصور النهضة الإسلامية ارتباطاً وثيقاً، وهذا هو سر ازدهاره وتقدمه العظيم في تلك العصور الخوالي[٥٦].

---

[٥٤]ينظر: ابراهيم أبو محمد، من قضايا التحديات في القرن الواحد والعشرين_ التعليم في ضوء فكر سعيد النورسي ص١٠-١٢.

[٥٥] ينظر: محمد علي أبو ريان، أسلمة المعرفة_ العلوم الانسانية ومناهجها من وجهة نظر إسلامية (مصر: دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٧م) ص٤١-٤٦..

[٥٦]ينظر: محمد علي أبو ريان، أسلمة المعرفة_ العلوم الانسانية ومناهجها من وجهة نظر إسلامية، ص٣.

ولأجل النهوض حضارياً بواقع العالم الإسلامي، ينبغي تطوير المفهوم السائد للدراسات الإسلامية، والمنحصر في دائرة مواد بعينها هي ما يحتاج إليه الناس في المفهوم الضيّق لمعرفتهم بالله(ﷻ)؛ والمشتملة في الأغلب على المفردات الآتية: القرآن وعلومه؛ التفسير؛ الحديث وعلومه؛ الفقه؛ العقيدة؛ التصوف؛ السيرة والتاريخ الإسلامي، ويضاف إلى ذلك أن جميع هذه المفردات تفتقر إلى التدريب العملي، على اعتبار أن العلوم الإسلامية ليس لها صلة بالتدريب، وفي مقابل ذلك إخراج الكثير من المواد العلمية والأدبية كالطب والهندسة والزراعة والعلوم والفلك والاقتصاد والفن وغيرها عن نطاق العلوم الإسلامية(٥٧).

وفي تطوير البحث العلمي لم يعد النظر إلى العلم بكونه المحتوى المعرفي لمجموعة المقررات الدراسية التي يدرسها التلاميذ في مختلف المراحل التعليمية كافياً في فهم طبيعة العلم وتعلّمه، إذ أن النظرة إلى العلم كمحتوى معرفي أو مادة دراسية فحسب تعكس فهماً محدوداً لطبيعة العلم وتجعله منحصراً في الجانب المعرفي وتهمل جانباً على درجة كبيرة من الأهمية ألا وهو الجانب السلوكي المتمثل في النشاط الفكري القائم على التفكير السليم والتقصي العقلي والبحث والخيال الخصب ومهارات التفكير العلمي وحل المشكلات، فالبحث العلمي يؤكد أهمية أساليب الملاحظة الدقيقة وفرض الفروض والتحقق من صحتها عن طريق التجربة العلمية(٥٨).

فينبغي على المؤسسات التعليمية أن تنطلق بمناهجها التعليمية إلى رحاب أوسع في ضوء تعاليم القرآن الكريم، وهدي السنة النبوية المطهرة والسيرة العلمية للسلف الصالح من الأمة الإسلامية، الذين فهموا الدين منهجاً للحياة وأسلوباً للعمل، فكيّفوا عليه تصورهم للعلم والمعرفة والبحث والتدريب(٥٩).

---

(٥٧)ينظر: حسن الشيخ الفاتح، دور مؤسسات التعليم العالي في التدريب والبحوث في مجال الدراسات الإسلامية ص١٢-١٤.

(٥٨)ينظر: فاطمة عوض صابر؛ ميرفت علي خفاجة، أسس ومبادئ البحث العلمي ، ص١٣-١٤.

(٥٩)حسن الشيخ الفاتح، دور مؤسسات التعليم العالي في التدريب والبحوث في مجال الدراسات الإسلامية، ص١٧.

ان الجزء المهم والحيوي من رسالة مؤسسات التعليم هو البحث العلمي، اذ به تلتمس طريقها نحو العمل الأفضل في المستقبل، وبه كذلك تتوصل إلى صواب أو خطأ تجربتها في الماضي، فالبحث العلمي هو الجزء الخلاّق والمبدع في العمل الجامعي، وهو الذي يعمل على تنمية المعرفة؛ وإثراء الفنون الانتاجية وزيادة رصيد التراث العلمي والحضاري للإنسانية، فعملية التقدم والتطور في شتى المجالات الدينية والعلمية والاقتصادية والاجتماعية والحضارية إنما يكون طريقها من خلال البحث العلمي، فإذا توقف البحث العلمي أصيبت جميع جوانب الحياة بالجمود والتصلب وعجزت المجتمعات عن تحقيق أي تطور أو تقدم(٦٠).

اما في ما يخص الابداع أو التفكير الإبداعي يعرف بانه: (العملية الذهنية التي نستخدمها للوصول إلى الأفكار والرؤى الجديدة، أو التي تؤدي إلى الدمج والتأليف بين الأفكار أو الأشياء التي يعتبر سابقاً أنها غير مترابطة)(٦١) فالإبداع هو قدرة عقلية تدفع بالفرد إلى السعي والبحث عن جديد؛ وهو ليس شيئاً بعيداً عن تناول الكثيرين من الأشخاص إذ يستطيع كل فرد أن يكون مبدعاً لو اكتسب المعارف والمهارات التي يمكن أن تقوده إلى ذلك وعمل على تنميتها في نفسه(٦٢)،ولابد من الانتقال الى ثقافة التلقين والذاكرة إلى ثقافة الإبداع، والتي تدفع بالمتعلم نحو إدراك لعلاقات جديدة من أجل تغيير الواقع، وذلك يستلزم إعداد نظام تعليمي يسعى إلى مساعدة المتعلمين بكافة مستوياتهم على إدراك علاقات جديدة، وكشف التناقضات السائدة في الواقع، في سبيل تغيير للواقع المعاش، ومحاولة صياغة واقع جديد يحقق مطالب ومصالح المسلمين، وذلك من خلال تطوير المناهج الدراسية بما يتناسب مع مشكلات واقعنا وتداعيات العصر ومشكلاته، وتقديم قدراً من المعارف والعلوم التي تنمي قدرات الإبداع لديهم، مثل القدرة على حل المسائل والمشكلات وليس تحصيل المعارف فحسب(٦٣).

---

(٦٠)المصدر نفسة، ص١٨.
(٦١)عبد الإله بن إبراهيم الحيزان، لمحات عامة في التفكير الابداعي ، ص٢٤.
(٦٢)ينظر: محمد عبد الغني هلال، مهارات التفكير الابتكاري؛ كيف تكون مبدعاً ، ص٥٣.
(٦٣)ينظر: شبل بدران، التجديد في التعليم الجامعي، ص٥٢-٥٤.

وفي ظل النظام العالمي المعقد الذي يعيش فيه العالم الإسلامي لم تعد الفتاوى الفقهية التي تخص الأفراد بكافية في معالجة الأزمات المتعددة التي تهدد وجود المسلمين وكيانهم، فالأمة أضحت بحاجة إلى فقه حضاري يحسن فهم المسألة الحضارية بمجملها، والمسائل المتفرعة عنها، وما تشتمل عليه من تكليف كلي وتنظيمات وتأسيسات داخل الحضارة الواحدة وفيما بين الحضارات، من أجل ابراز الحضارة الإسلامية (كحالة أصيلة يدرسها هذا الفقه تقدم إمكانيات عليا على مستوى التأصيل والقواعد؛ وعلى مستوى المسائل والقضايا والأفكار والقيم والمبادئ؛ وعلى مستوى السنن والنواميس التي تؤكدها وتقررها من الاختلاف والتنوع الحضاري؛ فالتعارف والتحاور، فالتوازن الحضاري المأخوذ من الميزان السماوي والمناقض للطغيان الدولي والحضاري، وسنن التداول والإبدال الحضاري، وكذلك سنن التدافع الحضاري، تلك السنن والقيم التي تواجه مقولات راجت في الساحة العالمية من قبيل صدام الحضارات وصراعها، وحروب الثقافات)[٦٤].

الخاتمة والنتائج

بعد هذه الرحلة الماتعة لا بد من وقفة تأمل واستذكار لما حققه البحث من مقاصد وما توصل إليه من نتائج؛ فاقول:

١-يتصف الخطاب الديني بالوسطية، وهي عدم التعصّب لمذهب معين، بل الأخذ بالنافع من تراثنا الإسلامي.

٢-ينبغي أن يتصف الخطاب الديني بالعقلانية، فلا يمكن للشخص أن يتحدث بأحكام الإسلام ويُلقي بها على المسامع دون أن يفكّر في تحليلها وتفسيرها وإيصالها إلى أذهان الناس بالوسائل والأساليب المناسبة .

٣-أن الخطاب الديني يجب أن يركز على المساواة في الحقوق والواجبات لكل فرد من أفراد المجتمع ومن غير تفضيل لفرد على آخر تحت أي مسوغ كان ديني أو عرقي أو فكري أو سلوكي أو مجتمعي ، وهدفها بالأساس تحجيم التعصب الديني لدى الديانات والمذاهب المختلفة في المجتمع الواحد.

---

[٦٤]سيف الدين عبد الفتاح اسماعيل، فتاوى الأمة وأصول الفقه الحضاري_ الأزمة ومقدمات الحل، ، ص٥٢٠-٥٢٢.

٤ –يتصف الخطاب الديني بالموازنة بين المادية والروح، فكما يهتم ويحثّ الناس على العبادة والأعمال القلبية والتعلّق بالآخرة، يدعو إلى عمارة الدنيا والاستمتاع بطيباتها بما يرضي الله تعالى.

٥–تتمثل الوسطية في الموازنة بين العقل والقلب، فلا يتحدّث بالعقل المجرّد عن العاطفة، ولا بالعاطفة البعيدة عن العقل، بل يمازج بينهما كي يتصل العقل مع القلب في الخطاب الإسلامي.

٦–إن توحيد الخطاب (خطاب المسلمين) ينبغي أن يقترب كثيراً من خطاب الإسلام (خطاب الوحي) حتى يتمكّن هذا الخطاب من معالجة أزماتنا الفكرية ، باحترام أهل الأديان الأخرى وعدم محاربتهم في عقائدهم وسلوكياتهم مع مراعاة خصائص أفراد المجتمع الآخرين.

٧– يجب على الخطاب الديني المعاصر الابتعاد عن النَفَس الطائفي ويدعو إلى الوحدة والتقريب بين جميع المذاهب الإسلامية، تحت مظلة حب الوطن والتعايش السلمي.

٨– أما الخطاب الديني الموجّه إلى غير المسلمين فينبغي أن يتّسم بالتآلف والتعايش والمحبة لا التصادم والتشنيع، لأن ذلك سوف يصمّ الآذان عن سماع كلمة الحق، ويغلق القلوب عن أن يدخلها نور الهداية.

المصادر

القران الكريم

١. ابراهيم أبو محمد، من قضايا التحديات في القرن الواحد والعشرين_ التعليم في ضوء فكر سعيد النورسي، شركة سوزلر، القاهرة ٢٠٠٢م.
٢. أبو الفضل محمد بن مكرم ابن منظور ، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ١٩٩٤ـ.
٣. ابو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى ، المفردات في غريب القرآن ، المحقق: صفوان عدنان الداودي: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت ١٩٩٢،.
٤. أبو بكر محمَّد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرَّازي : مُختار الصِّحاح، ط١، المطبعة الملكيَّة، القاهرة، ١٤٢٩هـ، .
٥. أحمد بن حنبل، المسند، منشورات دار صادر، بيروت ـ لبنان،١٩٨٤.
٦. احمد رضا: معجم متن اللغة، منشورات دار ومكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٠م.
٧. ايمانوئيل كانط، الدين في حدود مجرد العقل، ترجمة: فتحي المسكيني، دار جداول للنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ٢٠١٢م.
٨. ايوب بن موسى الحسيني الكفوي ابو البقاء الحنفي(ت ١٠٩٤ه)، الكليات، تحقيق: عدنان درويش؛ محمد المصري، مؤسسة الرسالة، ط٢، بيروت، ١٤١٩ه.
٩. جمال محمد بواطنة، تجديد الخطاب الديني المعاصر ضرورة ملحة، بحث ضمن المؤتمر العام الواحد والعشرون للمجلس الأعلى للشؤون الإسلاميةـ القاهرة، ٢٠٠٩م، .
١٠. حسن الشيخ الفاتح، دور مؤسسات التعليم العالي في التدريب والبحوث في مجال الدراسات الإسلامية ،المكتبة الثقافية، بيروت، ١٩٩٢.
١١. خزعل الماجدي، علم الأديان، ط١، مؤمنون بلا حدود، بيروت، ٢٠١٦، .
١٢. سميح دغيم: موسوعةُ الأديان السماويَّة والوضعيَّة (أديان ومعتقدات العرب قبل الإسلام)، ط١، دار الفكر اللُّبناني، بيروت، ١٩٩٥،.
١٣. سيف الدين عبد الفتاح، في ندوة الفكر الإسلامي المعاصر مفهوماته ومجالاته التداولية، عقدتها مجلة قضايا إسلامية معاصرة، مركز دراسات فلسفة الدين، السنة ٨، العدد ٢٦، بغداد، ٢٠٠٤.
١٤. صباح خيري العرداوي، قراءات معاصرة في الفكر الاسلامي، ط١، دار البيان، بغداد، ٢٠١٩،.
١٥. عبد الإله بن إبراهيم الحيزان، لمحات عامة في التفكير الابداعي ، مجلة البيان،الرياض، ٢٠٠٢م. .
١٦. عبد الكريم شورش، القبض والبسط في الشريعة، ترجمة دلال عباس، دار الجديد ،بيروت، ٢٠٠٢م.
١٧. علي محمد محمد الصلاَّبي ، فقه التمكين عند دولة المرابطين ، مؤسسة أقرأ للنشر والتوزيع والترجمة ، القاهرة، ٢٠٠٦ م .

١٨. عمر عبيد حسنة، الاجتهاد للتجديد سبيل الوراثة الحضارية ، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٨م.
١٩. عمر عبيد حسنة، الخطاب الإسلامي وقفة للمناصحة، المكتب الإسلامي، القاهرة، ٢٠٠٥م.
٢٠. فاطمة عوض صابر؛ ميرفت علي خفاجة، أسس ومبادئ البحث العلمي ، مكتبة ومطبعة الاشعاع الفنية، الاسكندرية، ٢٠٠٢م.
٢١. ماجد عرسان الكيلاني ، فلسفة التربية الاسلامية ، مكتبة هادي ، مكة المكرمة ، ١٤٠٩هـ .
٢٢. محمد الشريف الجرجاني ، التعريفات، تحقيق وزيادة: عبد الرحمن المراعشلي، دار النفائس، بيروت، ٢٠٠٧.
٢٣. محمد باقر السيستاني، اهمية البحث عن الدين سلسلة محاضرات فكرية القيت على جمع من طلبة الجامعات بتاريخ ٩جمادي الأخر، ١٤٤٠ه في النجف الاشرف.
٢٤. محمد جواد محمد سعيد الطريحي والدكتورة سلامة حسين كاظم الموسوي، الأديان(دراسة ابستمولوجية في المحتوى والمنهج)، ط١، دار صادر، بيروت، ٢٠١٤.
٢٥. محمد عبد الغني هلال، مهارات التفكير الابتكاري؛ كيف تكون مبدعاً ، مركز تطوير الأداء والتنمية، مصر الجديدة: ، ١٩٩٧م .
٢٦. محمد علي أبو ريان، أسلمة المعرفة_ العلوم الانسانية ومناهجها من وجهة نظر إسلامية ، دار المعرفة الجامعية، مصر،١٩٩٧م.
٢٧. معجم لالاند الفلسفي، ترجمه الى العربية تحت عنوان "موسوعة لالاند الفلسفية": خليل احمد خليل، دار عويدات بباريس وبيروت، ط٢، ٢٠٠١.